

٦ - تفسير الأحلام

للمعزة سمير فرور

سلسلة عاضرات ألقاها في نيبا

للاستاذ محمد جمال الدين حسن

الرقابة في الرؤى :

وهناك طريقة ثالثة تستخدمها الرقابة في الأحلام لا يوجد لها مثيل في حالة الرقابة الصحفية . ولكنني أستطيع أن أوضح لكم هذه الطريقة بالرجوع إلى الحلم الوحيد الذي استطعنا أن نحمله إلى الآن وهو الحلم الذي يدور حول « الثلاث نذاكر التي تمها فلورن ونصف » . رأينا أن المحتوى الباطن لهذا الحلم يبرز فيه صفة « التسرع والتبكير » . وقد كان معناه : « لقد كان من الحاققة أني تزوجت » مبكراً ، كما كان من الحاققة أن تمجز القاعد « مقدما » وكما كان من الحاققة أيضاً أن « تسرع » أخت زوجي بضاعة تقودها كلها على قطعة من الخلى . ولكن هذه الصفة الرئيسية لم يبد لها أثر مطلقاً في المحتوى الظاهر ، وإنما كانت الحلم كله مركزاً في الذهاب إلى السرح وأخذ التذاكر . وقد كان لإزاحة هذا التركيز وإعادة ترتيب العناصر من جديد أثره في انعدام الشبه بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن للحلم بحيث لا يقضى لأحد أن يشك مطلقاً في تسرع أحدهما وراء الآخر . وهذه « الإزاحة » تعتبر من أهم الوسائل التي يستخدمها التحريف ، وهي السبب الذي يفضي على الحلم هذه الحالة من الغرابة التي تجعل الحالم نفسه يتردد في الاعتراف به على أنه إحدى بنات أفكاره .

وعلى هذا فالخذف والتحويل وإعادة ترتيب العناصر ، هذه كلها هي الأساليب التي تتخذها الرقابة في الأحلام وهي الوسائل التي تستخدم في التحريف . والرقابة نفسها هي المولد أو هي أحد المولدات التي ينشأ عنها التحريف . أما التحويل والتغيير في الأوضاع فتدخل مادة تحت عنوان « الإزاحة » .

ولنتنظر الآن إلى الرقابة في الأحلام من الوجهة الديناميكية بمد أن المنة يبعث الملاحظات عن أوجه النشاط فيها . لعلكم لا يشط بكم الخيال فتصورون الرقيب لأنفسكم على هيئة قزم عبوس الوجه قابع في إحدى خلايا المخ حيث يقوم بتأدية أعباء وظيفته ، أو تتخيلون أن هناك « مركزاً عصيباً » تبعث منه تأثيرات رقابية ممرضة للزوال إذا زال هذا المركز أو أصابه عطب . ولكن يكفيني في الوقت الحاضر أن ننظر إلى الرقابة على أنها اصطلاح نافع يعبر عن علاقة ديناميكية ، على أن لا تموتنا هذه النظرة عن البحث لمعرفة أي نوع من النزعات له هذا التأثير وأنها يخضع له ، كما أنه يجب علينا أن لا ننجب إذا اكتشفنا أننا ربما نكون قد تمرصنا للرقابة من غير أن نتعرف عليها . وهذا ما حدث فعلاً . فأنتم تذكرون أننا أثناء قيامنا بتطبيق طريقة الترابط المطلق ، اكتشفنا أن هناك « مقاومة » ما تمرص الجهود التي نبذلها للنفاذ إلى المحتوى الباطن للحلم من خلال الظاهر . وقلنا إن هذه المقاومة تختلف من ناحية الشدة فتكون في بعض الأحيان ضعيفة جداً فلا تحتاج إلى مجهود كبير لتفسير الحلم وتكون في أحيان أخرى كبيرة جداً فنحتاج إلى سلسلة طويلة من الأفكار المترابطة وإلى التقلب على كثير من الاعتراضات التي تواجه هذه الأفكار . وهذه الظاهرة التي لاقتنا على شكل « مقاومة » أثناء التفسير نود فنتقابلها مرة أخرى على شكل « رقابة » في تكوين الحلم ؛ وما المقاومة في الواقع إلا الرقابة في شكل ملموس وهي تثبت لنا أن تأثير الرقابة لا ينعدم بعد القيام بعملية التحريف بل يظل قائماً كنشأة دائمة تعمل على إبقاء التحريف على حاله الراهنة . وكما أن المقاومة تختلف في الشدة باختلاف عناصر الحلم ، فكذلك تختلف أيضاً درجة التحريف الذي ينشأ عن الرقابة . فالمقارنة بين المحتوى الظاهر والمحتوى الباطن تحريتنا أن بعض العناصر الباطنة قد حذفت تماماً من المحتوى الظاهر أو حورت تحويراً طفيفاً أو كبيراً ، بينما ظل البعض الآخر على حاله التي كان عليها من غير تعديل أو تغيير ، بل ربما ازداد وضوحاً عن الأول .

قلنا إننا نريد أن نبعث لمعرفة أي نوع من النزعات له هذا التأثير الرقابي وأنها يخضع له . والجواب على هذا السؤال ، الذي

باعتبار جوهرها ، الوقوف على معنى الأحلام أو ربما الحياة البشرية بأسرها ، يكون من الأمور السهلة إذا فحصنا -سلسلة الأحلام التي نجعلها في تفسيرها . فسرى من ذلك أن هذه النزعات هي التي يحكم عليها الشخص الحالم في حالته اليقظة بأنها جزء من نفسه لا ينفصل عنها . فن المؤكد أن الشخص الذي لا يريد أن يعترف بالتفسير الصحيح لحلم من الأحلام التي رآها هو ، فأنما يفعل ذلك مدفوعاً بنفس الموامل التي تولد الرقابة وتتسبب في وقوع التحريف في الحلم حتى يصعب تفسيره . فالمرأة التي في الخمسين من عمرها مثلاً قد أصابها الفزع والذهول لبشاعة الحلم الذي رآته رغم أنها لم يفسر لها ، فما بالك إذا لو كانت الدكتور فون هيج - هلموث قد أفضت إليها بطرف من معناه الذي لا يخفى هذه المرأة أنكرت الحلم ولم تعترف به مدفوعة بنفس الأسباب التي أدت في الحلم إلى استبدال العبارات الجارحة بدمدمة غير واضحة .

أما النزعات التي تخضع لتأثير الرقابة ، فإننا إذا اختبرناها بنفس هذا المقياس من النقد التحليلي فإننا نجد أنها عبارة عن نزعات لا تقبلها النفس لأنها تجرح شعور الإنسان من الوجهة الأخلاقية أو الاجتماعية ، وتدور في أغلب الأحيان حول أشياء لا يحضر المرء على التفكير فيها أو على الأقل يشعر باشمئزاز كبير إذا مرت بمخاطره . وهذه الرغبات التي تؤثر فيها الرقابة فتبدو في الحلم بشكل محرف هي فوق كل شيء إظهار للأناية العظيمة التي لا حد لها . « فالذات » (Ego) يبدو أثرها دأماً في كل حلم وهي تلعب فيه الدور الرئيسي وإن استطاعت في بعض الأحيان أن تنسكرتنكراً تاماً بالنسبة إلى المحتوى الظاهر للحلم . وهذه « الأناية المقدسة » (Sacro Egoismo) للأحلام ليست في الواقع عديمة الصلة بالحالة العقلية التي تلزم للنوم أي قطع كل صلة بيننا وبين العالم الخارجي .

والنات التي تطرح عنها كل القيود الأخلاقية تحس أنها قد أصبحت على وفاق مع الرغبات التي يتطلبها الدافع الجنسي في الإنسان ، وهي الرغبات التي لا تقرها التربية الثقافية والتي تتناقى مع القيود التي تفرضها علينا الأخلاق التومعة . فالطاقة الجنسية (Libido) لا يحول حائل بينها وبين الأشياء التي يقع عليها

اختيارها لطلب اللذة ، بل هي في الحقيقة تفضل الأشياء المحرمة كزوجة رجل آخر مثلاً ، أو ما هو أشد حراماً كتلك الأشياء التي اتفق البشر جميعاً على تنديسها كالأم والأخت في حالة الرجل ، والاب والأخ في حالة المرأة . وهذه الرغبات التي نعتقد أنها غريبة عن الطبيعة البشرية تظهر قوتها في قدرتها على توبيد الأحلام . والبغض والكراهية أيضاً من الأشياء التي تنطلق في الحلم من غير قيد ، فالرغبة في الأخذ بالثأر أو غنى الموت لمن هم أقرب الناس إلينا وأعزهم علينا في الحياة كالآباء والأبناء ، والأخوة والأخوات ، والأزواج والزوجات ليست قطعاً من الأشياء الغريبة غير المألوفة . هذه الرغبات التي تخضع للرقابة يبدو أنها تنبع من جسيم حقيق فنحن عندما نقف على معناها في أثناء اليقظة يبدو لنا أنه لا توجد رقابة كافية لردع هذه الرغبات . على أن الأحلام ليست مسئولة عن هذا المحتوى الأثيم ، فأنتم بالتأكيد لم تنسوا بعد أن وظيفة الحلم التي لا ضرر منها بل النافعة هي المحافظة على النوم من عوامل القلق والإزعاج . فالإيم والفجور ليسا من طبيعة الحلم ، وأنتم في الواقع تعلمون أن هناك أحلاماً تعمل على تصريف رغبات مباحة ، أو حاجات جسمية ملحة . وصحيح أنه لا يوجد تحريف في هذه الأحلام ولكن ذلك لأنها لا حاجة لها به فهي تستطيع أن تؤدي وظيفتها من غير أن تجرح الشعور الأخلاقي أو الثقافي للذات . تذكروا أيضاً أن درجة التحريف تتناسب مع عاملين فهي من ناحية تزداد كلما كانت الرغبات التي تحت المراقبة أشد بشاعة ولكنها كذلك تزداد كلما كانت مطالب الرقابة أشد صرامة . ولهذا فالرقابة الصارمة في الفتاة المحافظة التي تربت تربية قومية قد تسبب تحريف أحلام نراها نحن رجال الطب ، تصريفاً مباحاً لرغبات جنسية لا ضرر منها ، وقد ترى الفتاة نفسها هذا الرأي عندما يتقدم بها العمر عشر سنوات أخرى .

وفضلاً عن ذلك فنحن لم نتقدم بعد في طريق النجاح للدرجة نجعلنا نستشيط غضباً للنتيجة التي وصلنا إليها من عملية التفسير فأغلب الظن أننا لم نفهمها بعد كما يجب ، ولكن يتحتم علينا قبل كل شيء أن نعمل على تحسين هذه النتيجة ضد المهجرات التي قد تمرض لها ، فإنه لا يصعب عليكم أن تذكروا النقط الضعيفة التي فيها . فنحن بيننا طريقتنا في التفسير على فروض فرضناها

في هذه الحياة الدنيا . « أو قد يجيب شخص آخر بما يأتي :
« أريد أن تزعم أنني أضمر لأختي شعوراً بالرغبة الجنسية ؟ ولكن
هذا مضحك حقاً فهي لا شيء بالمرّة بالنسبة إلى ، فنحن لم نكون
على وفاق في يوم من الأيام ، بل إنه قد مضت علينا سنوات لم
تبادل فيها كلمة واحدة » .

على أنه ما زال في إمكاننا أن لانهم كثيراً إذا لم يستطع
هؤلاء الخاملون أن ينكروا أو يعترفوا بما نسبته إليهم من نزعات
ورغبات ، فقد نستطيع أن نقول . إن هذه هي بالذات الأشياء
اللاشعورية التي لا يدركونها شيئاً . ولكنهم عند ما يحسون
في أعماق قلوبهم بعكس الرغبة التي نسبها إليهم بناء على التفسير ،
وعند ما يبرهنون لنا بسيرتهم وسلوكهم الدائم في الحياة أن الرغبة
المكسبة هي الغالبة عليهم فن المؤكد أننا لن نحير جواباً .
أ يكون الوقت قد حان إذاً لكي نطرح كل الجهود التي بذلناها في
تفسير الأحلام كشئ أدى بنا إلى نتيجة تافهة (*reductio ad*
absurdum) .

محمد جمال الدين حسن

(يتبع)

من مبدأ الأمر وهي : أن الأحلام ليست خالية من المعنى ، وأن
النظرية القائلة بأن العمليات العقلية قد تكون لاشعورية لبعض
الوقت ، كما هو الحال في التنويم المغناطيسي ، يمكن تطبيقها أيضاً
في حالة النوم الطبيعي ، وأخيراً أن من الممكن تحديد كل الأفكار
المتربطة . فلماذا تمسكنا بمساعدة هذه الفروض من الوصول إلى
نتيجة معقولة نحن لنا أن نستنتج من ذلك أننا كنا على صواب
في فرضها . ولكن ما هو العمل والنتيجة التي وصلنا إليها كما
ترون ؟ أظن أنه يبدو طبيعياً في هذه الحالة أن نقولوا : « هذه
النتائج من التافهة يمكن فهي مستحيلة الوقوع أو على أقل تقدير
بمسيئة الاحتمال ، فلا بد إذاً من وجود خطأ ما في الفروض التي
فرضناها ؛ فإما أن الحلم ليس ظاهرة عقلية كما تخيلنا ، أو أنه
لا توجد أفكار لاشعورية لا نذكرها في حالتنا الطبيعية ، أو أن
هناك عيباً ما في طريقة التفسير . أليس من الأفضل إذاً بل من
الأسهل علينا أن نسلم بصحة هذا الافتراض بدلاً من الموافقة على
هذه النتائج البشيمة التي تعجزها النفس والتي نعرف بأنها وصلنا
إليها عن طريق الفروض التي فرضناها ؟ » .

أجل يا سادة ، إنني أوافقكم على أنه أفضل وأسهل ، ولكن
ليس معنى ذلك أنه أصح . وعلى هذا فلننتظر قليلاً ، فإنا لم
تنضج بعد للحكم عليها ، وتعالوا بنا قبل كل شئ . نقوى
الاعتراضات التي تواجه طريقتنا في التفسير . فنحن لا نبالي كثيراً
إذا كنتم لم تستضيفوا النتائج غير السارة التي وصلنا إليها ، وإنما
المشكلة التي تواجهنا حقاً هي أن كثيراً من الخاملين لا يقرون
بالنزعات والرغبات التي نسبها إليهم عند ما يقوم بتفسير أحلامهم
بل ينكرونها إنكاراً باتاً مبنيّاً على أساس متين . فقد يقول
أحدهم : « ما هذا الذي تزعم ؟ أريد أن تبرهن لي على أن ما أنفقته
على تعليم أخي وعلى بئنة أختي كان على غير رغبة مني ؟ أبداً هذا
وأنا الذي قضيت عمري كله وأعمل لأرعى إخوتي وأخواتي
ولم يكن لي هم في الحياة إلا أن أقوم بواجبي نحوهم كأخيم الأكبر
حتى أفي بالعهد الذي أخذته على نفسي أمام والدتي وهي تلفظ
أنفاسها الأخيرة ؟ » وقد نقول امرأة : « ما هذا ؟ أريد أن
تفرض عليّ أني أرغب في موت زوجي ؟ حقاً إن هذا كلام فارغ
لا يصدق . فنحن لسنا سعداء في حياتنا الزوجية فحسب ، ولو
أنك قد لا تصدق هذا ، ولكن بموته سأفقد كل شئ أمتلكه

مِطْبَعَةُ الرَّسَائِلِ

تقدم كتاب

أخبار مدينة الرسول

أوفى كتاب عن المدينة المنورة

وآثارها وتاريخ عمارة المسجد النبوي

للإمام الحافظ

محب الدين بن النجار

يطلب من دار الرسالة

ومكتبة الخانجي بشارع عبد العزيز

ومن جميع المكتبات الشهيرة

ونعته عشرة قروش